Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغير بعيد من غار حراء الذى شُغِلت عنه الدنيا والتاريخ ، هجعت مكة تجتر ذكريات مجدها الغابر وقد طوته وثنية ضالة عمياء ، وتساورها من حين إلى حين رجفة من قلقِ الوعى ، لا تلبث أن تهمد تحت وطأة الكابوس الجاثم .

ونامت قريش ، لا تحسب حساباً لهذا الهاشمى المختلى فى غار حراء ، وقد أَلِفتْ أن تراه ينسحب إليه من ضجيج المجتمع المكىّ ، عازفاً عن تلك الأوثان التى يعبدها قومه لأنهم وجدوا آباءهم لها عابدين ، وماذا على القوم أنْ عزف « محمد بن عبد الله » عن أوثانهم ورفض أن يعبدها مع الله أو يعبد الله فيها ؟ ! كذلك فعل مثل محمد من الحنفاء ، ليس عددهم بالذى يدخل فى الحساب بزيادة أو نقصان ، فى زحام أفواج الحجيج من قبائل العرب جميعاً ، ينثالون إلى مكة من كل فج عميق ، ليطوفوا بأوثانهم فى الكعبة ويؤدوا طقوس عبادتها ، موسماً بعد موسم ، وجيلا من بعد جيل . .

* * *

وأوغل الليل قبل أن يطلع فجر هذه الليلة من رمضان ، وينشر نوره على القمم والسفوح ، والبطاح والقيعان والأودية . .

ومع نور الفجر البازغ من الليلة المباركة ، تجلى الوحى للمختلى فى الغار ، وألقى إليه كلمة الله : « اقرأ » .

وما كان محمد بقارئ ، وما كان يتلو من كتاب ولا يخطه بيمينه ، من قبل أن يتلقى آياتِ الوحى الأولى :

« اقرأ باسم ربِّك الذى خلق * خلق الإنسانَ من علَق . اقرأ وربُّك الأكرمُ . الذى علَّم بالقلم . علَّم الإنسانَ ما لم يعلم » .

وبدأ تاريخ جديد :

الرجل الذى سرى فى الليل إلى غار حراء على مألوفِ عادته منذ أنكر موضع الأصنام فى البيت الحرام ، وأيقن أن حياة الناس لا يمكن أن تمضى هكذا على سفَه وضلال . . خرج مع الفجر الصادق من الغار ، نبيًّا مبعوثاً بختام رسالات الله .

والكلمات الأولى التى تلقاها فى ليلة القدر هذه من وحى ربه ، كانت مستهلَّ كتاب معجز ، وآية بشر رسول ، ولواء عقيدة وجهت التاريخ وحررت الإنسان ، وصنعت أمة وقادت حضارة .

* * *